عبدالعزيز سعود البابطين

تـأمُّـــلات
من أجل السَّلام

مع توطئة بقلم

مايكل فريندو

الرئيس الفخري لبرلمان مالطا

ووزير شؤون خارجيتها الأسبق

مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية

ردمك: 978-99966-1-874-1

رقم الإيداع: 1124/2017

حقوق الطبع محفوظة للناشر

مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية

هـاتـف: 22415172 965 +

فاكـس: 22455039 965 +

بريد إلكتروني: **info@albabtaincf.org**

الطبعة الرابعة

يوليو 2019

الكويت

« لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر، ففي
عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام »
عن الميثاق التأسيسي لليونسكو

المحتوى

- توطئة بقلم: مايكل فريندو الرئيس الفخري لبرلمان مالطا ووزير شؤون خارجيتها الأسبق ٧
- مقدمة ١٥

القسم الأول: القواعد السبع من أجل السلام

- **القاعدة الأولى**: الاحترام والصدق ٢٣
- **القاعدة الثانية**: السلام ضرورة ٢٥
- **القاعدة الثالثة**: السلام إجماع ٢٧
- **القاعدة الرابعة**: السلام حاجة تاريخية ٣١
- **القاعدة الخامسة**: السلام مسار متواصل ٣٥
- **القاعدة السادسة**: السلام ثقافة ٣٩
- **القاعدة السابعة**: السلام تربية وتعليم ٤٣

القسم الثاني: الوسائل السبع لتحقيق السلام

- **الوسيلة الأولى**: واجب فعل الخير سبيل إلى السلام ٥١
- **الوسيلة الثانية**: واجب إصلاح ذات البين سبيل إلى السلام ٥٥
- **الوسيلة الثالثة**: التوسط بين الدول لإرجاع العلاقات سبيل إلى السلام ٦١
- **الوسيلة الرابعة**: إعداد مخطط عملي سبيل إلى السلام ٦٧
- **الوسيلة الخامسة**: العمل التفاعلي المشترك سبيل إلى السلام ٧٣
- **الوسيلة السادسة**: جعل السلام جامعًا مشتركًا بيننا سبيل إلى السلام ٧٧
- **الوسيلة السابعة**: مذهب السلام سبيل إلى السلام ٧٩
- الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين ٨٣

توطئة بقلم: مايكل فريندو

الرئيس الفخري لبرلمان مالطا

ووزير شؤون خارجيتها الأسبق

اعتناق السلام «أيديولوجيا» للجنس البشري

هذا الكتاب الرائع النَفيس، «تأملات من أجل السَلام» لعبدالعزيز سعود البابطين هو صرخةٌ قلبيةٌ موجهةٌ للبشرية جمعاء قصد اعتناق السلام قيمةً وهدفاً وطريقةَ حياة.

وهو يعكس التزام البابطين الدائم بجمع بين مختلف مكونات البشرية، على اختلاف معتقداتها وثقافاتها ورغم الفوارق الاقتصادية بينها، في حوارٍ صادقٍ وصريحٍ سعيًا إلى تحقيق السلام بين الدول

وداخلها. وبما أنه وُلد وتربّى في منطقة عرفت صراعًا رهيبًا أفضى إلى ضَياع الأمة والدولة، فإنّ البابطين يعتبر السلام حاجةً ماسةً للبشرية، لا يتجزأ ولا يُستغنى عنه من قبل أي مجتمع.

وللسلام أوجه عدة، ولكي يُستدام، ينبغي أن يتمظهر في قيمة العدل التي تمثل - على حد تعبير المؤلف - القيمة الحقيقية للإنسانية.

يعرض لنا الكتاب قواعد السلام والسبل إليه، ويوضح الركائز التي يقوم عليها «السلام الحقيقي» والمسار التعاوني الذي يجب أن يتحقق من خلاله.

وفي هذا الخضم، فإنّ فعل الخير هو أفضل وسيلة لإشعال شمعة السلام.

«عالمٌ بلا سلام هو عالمٌ مظلمٌ»، هذا ما يقوله المؤلف حاثّا إيانا في حقيقة على إشعال هذه الشمعة.

إنّ المؤلّفَ يعكس فكر «ادموند بوركي» «لكي

ينَتصر الشرّ، وجب ألا يفعل رجال الخير شيئًا»، مشيرًا إلى أن الكثير من ذوي النوايا الحسنة، الذين واجهوا عالمًا من الكراهية والانقسام، قد أصيبوا بالإحباط وتخلوا عن رغبتهم في الإصلاح، واستقالوا من مسؤولياتهم في الكفاح من أجل السلام، «داخل المجتمعات وفيما بينها». وللتغلب على ما يصفه بـ (الفشل المزدوج) يسعى المؤلف إلى رؤية شاملة تتجاوز الفرد أو المجتمع لتلامس (الوعي الجماعي الأعلى للإنسانية)، أي (روح الإنسانية).

هذه الرسالة في عالميّتها، هي سمة الكتاب الرئيسة. إنها ليست موجهة إلى أمة بعينها، أو مجموعة دون غيرها، بل هي رسالة عالمية كونية تلبي احتياجات البشرية جمعاء، مناشدةً أفضل القيم والتطلعات للإنسانية. وكما هو الحال دائمًا، يسعى البابطين إلى إبزار أفضل ما في البشر متجاهلًا الغرائز ومخاطبًا روح الإنسان المتسامية إلى النقاء الذي ينشده «تيلارد

دو شاردان» في تحقيق العدل والسلام، «إنما في عقول البشر تبنى قيم السلام».

إن قواعد السلام السبع التي يقترحها المؤلف تعتبر السلام ضرورة قصوى وإجماعا يُبنى باستمرار، وجهدًا تاريخيًّا متواصلاً لتطوير السلام ثقافة وطريقة حياة لجميع الرجال والنساء في عالمنا. وفي هذا الخضم، تبقى قيم الاحترام والصدق في العلاقات الإنسانية أساسًا لبناء السلام. كما أن التربية والتعليم من أجل السلام في سن مبكرة تعتبر مفتاحًا للنجاح في تطوير ثقافة السلام. ويؤكد المؤلف أنّ «أصل جميع الأصول في الحياة هو السلام والباقي فروع» ويضيف: «إن السلام أمرٌ محوريّ للتمتع بالحياة»، ويحثنا البابطين على «جعل السلام درسًا دون انقطاع»، فعندها فقط سندرك «أن الاحترام والتسامح والصدق والتعاون والإيثار والعدالة والحرية والإنصاف هي كلها قيم في السلام سلمية لا يمكن فصل بعضها عن بعض».

في الجزء الثاني من هذه «التأملات من أجل السلام»، يحدد البابطين السبل السبع لتحقيق السلام، وهي إنما تعكس الكمال القرآني والكتابي لهذا العدد. ولتحقيق السلام داخل المجتمعات، وفيما بين المجتمعات، وللبشرية جمعاء، البابطين ونحن جميعنا، يحسنُ أن نستعمل التعبير الموجود في لغتي الأم، اللغة المالطية: «في سابع سماء».

ويذكرنا المؤلف كذلك بواجبنا في تكريس جهودنا من أجل السلام والخير والمصالحة والوساطة بين البلدان.

كما يدعو إلى التخطيط من أجل السلام والعمل لأجله واعتماده مثالا موحِّدا لنا جميعا، وجب علينا أن نسعى إليه جماعيًّا.

وبدعوته إلى مذهب السلام وإلى تحقيقه كأيديولوجيا (عقيدة) للبشرية، يحيلنا البابطين إلى

ذاك المفكر العظيم من أجل السلام وعدم العنف، المهاتما غاندي في خطابه أمام مؤتمر عموم الهند قائلًا: «إن السّلمية (عدم العنف) هي بالنسبة إلي «عقيدة»». هي عقيدة، كان غاندي يسعد بأن يقبلها الكونغرس «سياسةً» تعتمد وتُحترم وتُصان. هكذا يطلب منا البابطين محاكاة غاندي وقبول السلام أيديولوجيا وعقيدةً ومذهبا، ثمّ أن نكون جميعا مبشرين بهذه الرسالة، رسالة السلام والعدالة.

إن هذه «التأملات» القصيرة المُركّزة والهادفة حول السلام تعتبر مساهمة قيمة ولبنة أخرى في التفكير البشري والروح البشرية من قبل عبدالعزيز سعود البابطين، الشاعر المعروف وصاحب الأعمال الخيرية ورجل الأعمال الرائد الذي عاش عبارات روديارد كيبلنغ بالتعامل مع النجاح والفشل بنفس الطريقة، «مستمرًا دائمًا في وضع إنجازاته على

ذمة الإنسانية». وهذا فعلًا ما يزيد شغفه بالعدالة والتسامح والسلام بين كل البشرية.

هكذا يعبّر البابطين بصدق عن كلمات غاندي، «إنما أعتبر نفسي جنديًّا للسلام»[1].

مايكل فرندو[2]

فاليتا، 15 **أغسطس** 2017.

(1) خطاب رواق فكتوريا، جنيف، سويسرا، 10 ديسمبر 1931. بإشراف رابطة النساء الدولية من أجل السلام والحرية.

(2) الدكتور مايكل فرندو هو رئيس فخري لبرلمان مالطا ووزير سابق لخارجيتها، وهو حاليًّا عضو في اللجنة الأوروبية للديمقراطية من خلال قانون مجلس أوروبا (لجنة البندقية)، حيث يعمل عضوًا في المكتب الموقع ورئيسًا للجنة الفرعية للمؤسسات الديمقراطية.

مقدمـــة

لازلت أحس أنني قادر على العطاء أكثر للإنسانية، وأجد أن ما حققته وأنجزته ليس كافيًا ومازال بي ظمأ شديد لخدمة الإنسانية، فبعد تجربة طويلة في الحياة وفي الثقافة والشعر والأعمال، وبعد أن جبت أغلب بلدان العالم، وتعرفت على كثير من طبائع أغلب الشعوب والطوائف، يتوقد ذهني لكتابة شيء ما ومخاطبة العالم بطريقة معينة تساعد - إنْ قليلًا أو كثيرًا - في إنقاذ البشرية من انحرافات النفس ونزق أهواء المغامرين. لقد تأملت وفكرت مليًّا ورأيت أنْ ليس أفضل من تحديد قواعد ووسائل يسهل

تطبيقها قد تخدم الإنسانية في مسار السلام والسلم والمصالحات الضرورية. وجميع الأفكار أو المقترحات هي نتيجة تجربتي في الحياة وتأملاتي في الواقع، وهي إن تفردت أو تماثلت مع تجارب أخرى، أردت أن أستخلص منها الحكمة الخالصة المفيدة. وأعتقد أن كل حكمة وليدة تجربة ثرية يجب أن تعمم على كل الشعوب ولا تحتكر.

قيمة الحكمة أنها تصبح دليلًا هاديًا للشعوب.

إن غياب السلام في العالم هو ظلام في الدنيا، ولكن حين نجعل الكلمة الطيبة تعلو بالدعوة إلى السلم فإنها شمعة مضيئة لن يحجبها ذلك الظلام. «السلام شمعة»، لابد أن نضيئها، وإن «الضعيف هو من يخسر السلام دائمًا». السلام يؤسس قيمة العدل الذي إذا اختفى من الأرض لم يعد لوجود الإنسانية قيمة.

إني اخترت لكم كلماتي، وأعلم أنها تحتاج وقتًا كافيًا حتى تنضج عند الناس...

إنَّ على الإنسان الحكيم أن يفهم طبائع الناس؛ فَهُمْ في عمومهم أهوائيون ومزاجيون، وتلك الأمزجة والأهواء المختلفة هي التي تكون سببًا في التناحر والاقتتال، ولقد زادت الحياة بتعقيداتها من الجري وراء الأهواء دون احترام للفضائل والقيم، وما زاد الطين بلَّةً هو بعض الأيديولوجيات الحاثة على الكراهية والعنصرية والصراع الطائفي الديني.

الخيرون وأهل الفضل عادة حينما يشاهدون مثل هذا السلوك من الناس يحبطون ويعرضون عن إصلاحهم، وكثيرًا ما يعتكفون وينزوون في أطر خاصة ويستقيلون اجتماعيًّا. ونعتقد أن مثل هذا الموقف يعبر عن ذاتٍ مهزومة محبطة ويدل على ردة

اجتماعية. وفي الحد الأدنى نصفه بأنه فشل مضاعف. فشل في مواجهة سلوك غير سليم فيه انحراف؛ أي فشل في إصلاح المجتمع والظواهر الطفيلية فيه، وفشل في أداء مهمة الإنسان النبيلة، وهي إرساء السلام في المجتمعات وبين المجتمعات.

وحتى نتجنب هذا الفشل المضاعف لابد من حكمة وصبر لصياغة رؤية شاملة لا تقتصر على وعي الفرد أو الجماعة، بل الوعي الأسمى الجماعي السليم، وهو وعي الإنسانية بمهمتها ودورها، أو ما نسميه: «روح الإنسانية».

إنَّ الدافع إلى العمل الإنساني والخيّر هو إيماننا بالعمل نفسه، ورغم أننا قد نُتَّهم في حسن النية وأنَّ ما نقوم به سينسى لا محالة، فإننا «سنفعل هذا الخير»؛ لأنه عمل سامٍ لأجل الإنسانية، لهذا فأنا أتَّفق مع رأي

(ستيفن كوفي) المؤلِّف ورجل الأعمال الأمريكي فيما كتب في كتابه الرائع «العادات السبع للناس الأكثر فعالية».

قال الحكماء: إنَّ الشجرة غير المثمرة لا يقذفها أحد بحجر... وإني أفضل أن أكون شجرة مثمرة حتى إن قذفني الناس بحجر...

عبدالعزيز سعود البابطين

جنيف - الإثنين - 17 **يوليو** 2017

القسم الأول

القواعد السبع من أجل السلام

القاعدة الأولى
الاحترام والصدق

إن الدرس الذي نستخلصه من قراءة تاريخ سير النبلاء ليس فيما قاموا به من عمل جليل خدمة للسلام فقط، فأفعالهم وإنجازاتهم ليست سوى تجل من تجليات السلام، أو هي دلائل مرشدة في مسارات السلام، بل فيما يؤمنون به؛ أي في ثقافة السلام الفاعلة التي ترجموها إلى سلوك فاعل في السلام ولأجل السلام. بمعنى آخر من كل تجارب السلام يجب أن نستخلص أن علاج مشاكل الإنسانية يكمن في جعل ثقافة السلام صيغة تعليمية فاعلة، نربِّي عليها الأجيال، وعندها سيصبح سلوكنا سلميًّا أصيلًا فاعلًا. نحن نحتاج إلى جعل السلام قواعد فاعلة في التنمية الإنسانية بصرف النظر عن طبيعة الإنسان الشريرة أو الطيبة.

إن الناس في الغالب لا تعنيهم سوى مصالحهم، فالأنانية أمر طبيعي غريزي، تهذبه الثقافة دائمًا في المجتمعات المتوازنة، ودائمًا ما تدفعنا أنانيتهم إلى النفور منهم، ومن ثم تجنُّبهم والإعراض عنهم، بل أحيانًا هجرهم. وبسبب ذلك السلوك الأناني قد ينتهي الفرد إلى حدِّ كراهيتهم. لكن الكراهية شعور مرضي يدل على الإنسان غير السوي وغير الاعتباري، لأن من تشبَّع بثقافة السلام الفاعلة وروح السلام لا يعرف الكراهية. ومن الواضح أن هؤلاء الناس قد يجذبوننا إلى منطقتهم السوداء الداكنة، ونحن نخطئ إذا عاملناهم بثقافتهم ووفق سلوكهم. بل من المفروض أن نحملهم على ثقافتنا الفاعلة السليمة النقية حملًا يسيرًا.

أخلاق الناس تشكل حاجزًا نفسيًّا، لكن رغم ما هم عليه «علينا أن نحترمهم»، وأن نتعامل معهم بصدق. هكذا هي القاعدة الأولى الفاعلة لأجل السلام: «احترمهم واصدقهم القول».

القاعدة الثانية
السـلام ضرورة

إن السلام في حال الوحدة والتنوع والاختلاف ليس فقط ممكنًا بل هو ضروري؛ لأن المجتمعات الإنسانية بطبيعتها لا تستمر إلا بالتواصل فيما بينها، وليس يوجد مجتمع اليوم منغلقًا على نفسه، فالمجتمعات المنغلقة تؤول إلى زوال وتفنى... أما المجتمعات المنفتحة الحية المتحضرة فتتواصل لأنها في حاجة إلى التبادل الأكبر في كل المستويات؛ المادي، مثل: السلع والمنجزات الحضارية والتكنولوجية، والمستوى القيمي، مثل: العدل والحرية، والمستوى الأخلاقي، مثل: العفو والتسامح.

نحن اليوم في حاجة - أكثر من أي وقت مضى - إلى نقل السلام من الممكن إلى الضروري لأجل استمرار الإنسانية. علينا إذن أن نتجاوز فكرة السلام

الممكن إلى فكرة السلام الضروري، فالضرورة تجعلنا نفكر في الواجب والمسؤولية الاجتماعية... نحن في حاجة إلى ثقافة الضرورة في السلام وليس ثقافة الإمكان.

حين نفكر في تعميم السلام باعتباره ضرورة ليشمل كل العالم، فإن ذلك يعني أن نُسخّر كل سلوكنا ورموزنا وشعائرنا وكل وسائل تواصلنا نحو الهدف الأسمى وهو السلام. عالم السلام جوهره التنوع، ليس فيه لغة أو لون أو ثقافة أو عرق أو طائفة أو دين، بل فيه لغات في لغة واحدة، وألوان في لون واحد، وثقافات في ثقافة واحدة، وطوائف في طائفة، وأديان في دين واحد... ببساطة هو عالم الإنسان المتعدد الأبعاد.

نحن نرغب في الحياة التي ليس فيها صراع، وحين يصبح السلام ضرورة وليس إمكانًا سنؤسس العالم الأفضل.

القاعدة الثالثة
السلام إجماع

يجب أن نميز أولًا بين الإجماع الاجتماعي حول السلام، والتوافق السياسي حول السلام. فطيلة عقود من الزمن كانت مسارات السلام مبنية على التوافق السياسي وليس على الإجماع الاجتماعي حول السلام الحقيقي في التاريخ من أجل الإنسانية، والدليل على ذلك هو قلة النجاحات في مسارات السلام السياسي وكثرة الإخفاقات، وحين نراجع كثيرًا من الأمثلة نلاحظ أن سلام التوافق السياسي، لا يدوم؛ إذ سرعان ما يُنقض ذلك التوافق ثم يصبح المسار هشًّا ليعقبه تناحر أشد. ولا تفسير لذلك سوى أن سلام التوافق السياسي مرتبط بالمصالح الضيقة.

يجب أن نحدد نوع السلام الذي تحتاجه البشرية، وهو دون شك، ليس سلام التوافق السياسي.. ما ينبغي أن يُحقق في حاضر الإنسانية هو سلام تُجمع عليه الشعوب والمجتمعات، ليس سلامًا تتفق عليه طبقات سياسية. فإنَّ ما تتوافق عليه الحكومات - عادةً - يذهب بذهابها، وما تُجمع عليه الشعوب والمجتمعات لا يندثر بل يصبح ثقافة وسلوكًا حضاريًّا.

ما نؤكد عليه هو تجنب السلام المبنيِّ على التوافق السياسي، وحتى إن لم نستطع إلى ذلك سبيلًا، يمكننا في الحد الأدنى جعل سلام التوافق السياسي مرحليًّا لنعبر من خلاله نحو سلام عادل. وإن كان ضروريًّا مراعاة بعض المصالح، فلتكن تلك المصلحة هي التي نجمع عليها أيضًا، وليس تلك التي نتوافق عليها.

إن الفرق بين الإجماع والتوافق هو أن الإجماع الإنساني يكون حول قضايا وقيم كان اختلافنا حولها وهميًّا، سببه المعاندة والمكابرة، أما التوافق فيكون في قضايا هي فعلًا محلُّ خلاف بيننا. وإن الإنسانية لا تختلف حول القيم والمبادئ الثابتة ولكنها بسبب انحرافات تقتتل ثم تعود إلى الرشد.

إن سلام الإجماع حاجة اجتماعية ضرورية دائمة، في حين أن سلام السياسة عرضي محدود في الزمن. حين يكون السلام إجماعًا فذلك يعني أنه مطلب الجميع.

القاعدة الرابعة
السلام حاجة تاريخية

في النظام العالمي اليوم مازال الحديث اليومي المتداول في الإعلام والخطابات السياسية، كما في أغلب دراسات الباحثين المختصين حول مفهوم «الأمن الشامل»، وذلك اعتبارًا لحاجة الإنسانية إلى تحقيق أمنها في كل المجالات الحياتية، وتحقيق سلام شامل، لكن هذا المفهوم ارتكز أساسًا على عالم الصورة والعالم الافتراضي. الصورة في هذا العالم أصبحت المرآة التي تعكس الواقع وتعوض الحقيقة.

وهي وسيط مخادع؛ لأنها تقدم التعايش بين الناس بشيء كثير من الوهم، وتقدم عالمًا يشبه عالمنا، فيه كثير من الضبابية والتشويه، وسبب ذلك

أنها تقوم على الانتقائية والتجميل والحجب والطمس، فوحدها الحقيقة غير انتقائية، وعارية غير مجمّلة.

وحين عوّلنا على الصورة أصبحنا في حكم من يرى العالم بعين واحدة، تفلت منه وقائع وحقائق شتى.

في هذا السياق يطالعنا مشكل حقيقي اليوم، هو أن السلام تصنعه الصورة وتقدمه لنا الصورة من خلال الخطاب السياسي، الذي يعكس الواقع الاجتماعي بصيغة أيديولوجية، أي؛ من درجة ثانية.

نحن، حقيقة، نعيش خداعًا مضاعفًا هو خداع الصورة، وخداع الخطاب السياسي، وحتى نفلت من الخداع يجب أن نُحييَ سلامًا في الواقع المعيش، ونسعى إلى تحقيقه فعليًّا.

صحيح أن الصورة فاضحة أحيانًا، وكذلك الخطاب السياسي، ولكن من يحتاجون إلى السلام لا يملكون أدوات الصورة وليس لهم خطاب سياسي أصلاً.

إذن، نحن لا نحتاج سلامًا تصنعه الصورة ويصنعه الخطاب السياسي، فهذا سلام عرضي مؤقت ينتهي بانتهاء مدة الحملات الانتخابية.

كي نؤسس «الأمن الشامل» أمن السلم والنمو، ونخرجه من باب الشعار إلى الحاجة التاريخية، لابد من نقل السلام من مستوى الصورة إلى مستوى الواقع الاجتماعي الفعلي القائم الماثل أمامنا.

بمعنى آخر، يجب جعل السلام في الصورة مطابقًا للواقع، وإحكام ارتباط السلام بالواقع، أي؛ جعله حاجة تاريخية ملحَّة.

القاعدة الخامسة
السلام مسار متواصل

إن الإنسانية منذ بدء الخليقة مشروع لم يكتمل، وهي كذلك سيرورة متواصلة وليست إرساء. إنَّ مفهوم الإنسانية المكتملة لا معنى له، تمامًا كمفهوم الإنسان الكامل؛ فليس من كامل إلا الله، ومفهوم الإرساء يعني التوقف والعدم، فحين تنهي شيئًا وتقف عنده دون تقدم، فإنك انتهيت، وطبيعة الزمن والحياة التقدم.

وإن البناء والهدم متعاقبان، فكلما وجد بناء سيعقبه هدم؛ لأن في العالم قوتين أو نزعتين؛ قوة إيجابية أو نزعة إيجابية تبني وقوة سلبية، أو نزعة سلبية تهدم...

بما أننا نعلم أن هناك قوة هدم كامنة في نفوس الناس، فإنه علينا أن نصرف النظر عنها وكأنها غير موجودة وأن نواصل بناءنا، ورغم أننا نعلم كذلك أن البناء مكلف، جهدًا ووقتًا ومالًا، وأنه قد يتلاشى، فإنه علينا أن نواصل بناءنا لأنه يؤكد رغبتنا وحرصنا وإصرارنا على مقاومة النزعة الشريرة، فالإنسانية، وهي تبني، تصارع من أجل البقاء والاستمرارية.

السلام مسار بناء دائم يجب ألا ننقطع عنه. وبما أن الإنسانية مشروع يظل أبد الدهر يكتمل لبنة لبنة، فإن السلام هو أداة استمرارها، فكلما ظهرت قوى مدمرة هدامة، يجب أن نصرّ نحن على بناء السلام، فهو الضمانة الوحيدة للإنسانية.

وَإن فكرة الهدم ونزعة الهدم وقوة الهدم لا تقاوم إلا بالفكرة المضادة والنزعة المضادة والقوة المضادة.

نحن نعلم أن الإنسانية مهددة باستمرار، وأن مشروع اكتمالها مهدد باستمرار، بسبب الإنسان ذاته، إذن علينا أن ندرك بوضوح أنه يجب أن نتعهد السلام باستمرار، وأن نجعله مسارًا دائمًا.

ليس السلام وقفًا في الزمن، بل هو بناء لم يكتمل ولن يكتمل، ولذلك علينا ألا نملَّ تكميل البناء وألا ننقطع أبدًا.

إذا أصابنا الملال والكلال واعتقدنا أن السلام صرح شُيد واكتمل فإننا لم نفهم منطق الفساد في الأرض ومنطق الهدم... وعلى كل فإن من يفسد ويهدم هو كمن يبني معك؛ لأنه لا يعلم أنه بفساده ذاك وهدمه ذاك، إنما يحثك على أن ترابط وتقاوم من أجل مسار بناء السلام.

القاعدة السادسة
السلام ثقافة

إن الثقافة هي ما زاد على البيولوجي حسب المختصين في دراسة الثقافات، أي هي كل ما نكتسبه ونتعلمه من الصغر وحتى الممات. والثقافة هي: الدين والأدب والفكر والفن والفهم والكلام والسلوك والمعيشة والجهد والوعي والإعلام.

والمطلوب، ونحن نسعى إلى تحصين الوجود وحماية الإنسانية وقيمها النبيلة وفضائلها، أن نعيش السلام في حياتنا اليومية، وأن نجعله شكلاً من أشكال الوجود، وليس ذلك ممكنًا إلا إذا جعلنا السلام ثقافة معيشة. وليس ذلك صعبًا، بل هو ممكن متاح.

إن الدين الخالص الذي لم تَشُبْهُ شوائب المحرِّفين هو ثقافة سلام، والأدب - شعرًا ونثرًا - يجب أن نجعل منه أداة للسلام، وأن تكون مواضيعه دائمًا حول السلام، وفكرنا يجب أن يتجه نحو جعل السلام أصلًا فيه، ولغتنا اليومية في المخاطبات والمراسلات، يجب أن تتعطَّر بالسلام.

والفنُّ؛ من: مسرح وسينما وأغانٍ، يجب أن يخدم السلام.. سلوكنا اليومي لابد أن يكون سلوكًا حاثًّا على السلام ودليلًا عليه. معيشتنا في حِّد ذاتها في المعاملات ونظام الأخلاق ونظام التواصل بيننا، يجب أن ترتكز على أسس سليمة... لا نضيع الجهد فيما لا معنى له في المخاتلة والشر، بل لينصبّ على قيم السلام...

إن الوعي حينما يكون سليمًا واعتباريًّا وليس شقيًّا هو وعي من أجل السلام... ولعل أخطر الأدوات

وأهمها هو الإعلام، فعلينا أن نحسن التدبير لنجعله مختصًّا بالسلام وحاثًّا على روح السلام...

في المجمل يجب أن تكون ثقافتنا دليلًا عليه، أو بعبارة أخرى؛ لنجعل من ثقافتنا دالَّة على السلام ومدلولًا من مدلولاته.... ثقافة السلام تجعل منا كائنات للسلام، وهذا ما تحتاجه الإنسانية.

القاعدة السابعة
السلام تربية وتعليم

بما أنَّ السلام يجب أنْ يكون ثقافة الناس، وأنْ يكون في السلوك الثقافي اليومي، وحتى نؤمّن حضور هذه الثقافة واستمرارها، لابدَّ من العمل على تربية جيلٍ واعٍ، أي؛ أن نكوِّن جيلًا ونُعدّه عبر دروس متدرجة في السلام: من الحضانة إلى المدرسة، ثم المعهد، فالجامعة.

على المتعلم أن يتنفس سلامًا ويحيا سلامًا في كل درس وفي كل مادة تعليمية. إن التعلم في الصغر كالنقش على الحجر، وإذا ما تعلم الطفل في صغره فهو لا ينسى، وستظل «قواعد العيش في سلام» في

أسرته، وفي حيّه ومع رفاقه ومع الأغيار، بمثابة الدليل الهادي المرشد.

جميل جدًّا ما تقدمه مدارس فكرية وقانونية حول حقوق الإنسان، وما يقوم به الناشطون الحقوقيون في هذا المجال، ولكنه في رأيي مكمّل ولاحق، فقبله لابد من أرضية ممهدة، هي: التربية على أسس السلام أي؛ تعليم السلام.

إن أصل الأصول كلها في الحياة هو السلام، والبقية فروع. حين نتعلم قواعد السلام في الصغر ونجعل السلام درسًا مستمرًّا لا ينقطع، نعي أنَّ الاحترام والتسامح والصدق والتآزر والإيثار والعدالة والواجب والحرية والإنصاف، قيم في السلام لا ينفصل بعضها عن بعض، بل تدرّس كلها؛ فثمة خيط ناظم بينها، وقيم السلام جميعها «كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له باقي أعضاء الجسد».

علينا جميعًا أن نفهم أنه إذا أردنا أن نُخلّد شيئًا ونجعله أبديًّا، قيمة، رمزًا، حكمة، لابدَّ من تعليمها لجيل، وهذا الجيل سيحمل لواءه ويتقدم به وسيجعله جزءًا في الثقافة، وسيظل الناس يتداولونه دون انقطاع...

لاشك في أنَّ السلام حق البشرية جمعاء، وهو أعلى الحقوق، أو بعبارة أخرى، هو: الحق الجامع لكل حقوق الإنسان، ومن أراد معرفة هذا الحق الجامع - أي السلام - فهو لن يعرفه برجاله أو أهله، فهؤلاء يدلّون عليه، بل الأجدى أن يعرف الحق بذاته، ولا يعرف الحق بذاته إلا بتعلمه؛ لأن تعلمه يمكِّننا من تجسيده في الحياة، في كل نفس يصّاعد منا نحن، وفي كل كلمة، وفي كل سلوك، وحتى في مناط التفكير وقضاياه... فلنتحلّ بالشجاعة الكافية، ولنسُنّ قانونًا ملزمًا بتدريس أسس السلام وثقافة السلام.

القسم الثاني
الوسائل السبع لتحقيق السلام

إني سأذكر لكم فيما يأتي بعضًا مما قمت به، وما رسخ في ذاكرتي، وبعضًا مما يجب القيام به، ليس ذلك على سبيل الفخر بل للعظة والدرس، وإني أعتبره مما يمكن الاقتداء به لفعل الخير وللعمل الصالح، فالإنسان لا يكون قدوة ذاته بل يتمثل بأفعال الآخرين، ويؤثر فيهم، وأحيانًا في أجيال لاحقة. وعلى كل؛ فإن الكنز الحقيقي الذي أحتفظ لكم به في خزائني، هو الدروس والحكمة من الحياة، فليس أَدوم وأبقى منها.

الوسيلة الأولى
واجب فعل الخير سبيل إلى السلام

لم يكن اتجاهي إلى العمل الخيري محصورًا بأن صرتُ من الأغنياء، ليس الأمر كذلك، بل هو عندي مبدأ واقتناع منذ شبابي. فلقد كنت موظفًا بالمعارف منذ عام 1954 إلى عام 1962، وكان راتبي الشهري وقتئذٍ (ستين دينارًا كويتيًّا) وهو راتب بسيط جدًّا. في الحقيقة - في الكويت، في ذلك الزمان - لم يكن هناك غِنًى أو أناس من ذوي الثروات، وكانت - في الكويت - عائلات فقيرة مسحوقة وتحتاج إلى مساعدة، فقمت مع أصدقائي من ذوي السمعة الطيبة بين الناس، بتأسيس مجموعة خيريّة، على نحو ما يسمى اليوم الجمعيات الخيرية، وكنا نأخذ من كل واحد مبلغًا شهريًّا محددًا، ومن كل صاحب دكان

أو متجر، ونجمع كذلك بعض المال ممن نعرفهم. وشكَّلنا لجنة أخرى تحدد الفقراء والمحتاجين، أو الأشخاص الذين يحتاجون إلى تطبيب وعلاج خارج الكويت. ولمّا لم تكن الحكومة تلك الأيام تساعد الناس في هذا المجال، ساعدنا الكثير من الفقراء وأمّنّا تطبيبهم إلى أن تعافوا.

وقد عملنا كذلك على تعليم أبناء المعوزين، وأعدنا بناء بيوت عديدة هدمتها الأمطار والسيول. وقد نظَّمنا عملنا وفق لجنتين؛ لجنة تقدم في نهاية الأسبوع الثالث من كل شهر قائمة المحتاجين من فقراء وعاطلين عن العمل وأصحاب العائلات الكبيرة ممن ترى أنهم يستحقون الإعانة. ولجنة تقرر في غضون الأسبوع الأخير من الشهر مبلغ الإعانة حسب المتوفر من المال وحسب الحاجة الأكيدة.

سرنا على ذلك النهج في المساعدة عدة سنوات، وتفككت المجموعة بعدها، وأخذتنا مشاغل الحياة، وصرت مهمومًا أكثر بتطوير عملي التجاري، ثم سرعان ما عُدتُ إلى ذلك الواجب الإنساني بشكل محكم، وأكثر تنظيمًا وجعلته قائمًا على مؤسسات، منها: مؤسسة جعلتها باسم والدي رحمه الله سنة (1974) وهي «بعثة سعود البابطين الكويتية للدراسات العليا بالقاهرة» لتدريس الطلاب بنظام المنح لمواصلة الدروس في كل أنحاء العالم، وبناء المدارس والجامعات. ومركز في الكويت تابع لمؤسستي الثقافية هو «مركز التنمية الاجتماعية» ونقدّم من خلاله هباتٍ سنوية إلى كل المحتاجين في العالم، كما نخصص مساعدات أيضًا للمستشفيات، والمستوصفات، والمدارس، ولحفر الآبار، وإيصال الماء الصالح للشرب، وإعانة اللاجئين، وغير ذلك.

حدثتكم عن هذا لأجل غايتين: الأولى، أنه ليس بالضرورة أن تكون ثريًّا لكي تتجه نحو الخير، بل لأن بذرة الخير والسلام موجودة في طبع الإنسان وأصله وذهنه منذ صغره. ويمكنك بالمال القليل المنظم خدمة البشرية والمساهمة في خدمة المجتمع. أما الثانية، فهي أن عملي وعمل المجموعة التي حدثتكم عنها لم يكن إحسانًا، بل هو عمل مؤسساتي كان بوعي ذاتي بسيط ولكنه بنَّاء.

والحكمة من ذلك أن المجتمع يجب ألا يقوم على الإحسان، بل يقوم على فكرة الواجب؛ فواجب فعل الخير مختلف عن الإحسان وأنا أؤمن بواجب الإنسانية وليس بإحسان الإنسانية.

الوسيلة الثانية
واجب إصلاح ذات البين سبيل إلى السلام

في سنة (1985) دعانا فخامة الرئيس ضياء الحق (رحمه الله) لزيارة باكستان، وسمح لنا بدخول منطقة «كويتا» في الشمال للصيد فيها. وعندما وصلناها استقبلنا (السردار عثمان) وهو رجل كبير السن وقور ومحترم، أولَم لنا بسخاء، وتناولنا طعام الغداء عنده، ثم أخبرنا أن ابنه (مظفر) سيرافقنا لتأمين تنقلنا، ذلك أن القبيلة إذا علمت أن ابن السردار عثمان يرافقنا تتجنب الإساءة إلينا. وعندما ذهبنا إلى رحلة القنص/ الصيد، لاحظنا أن ابن أخيه (محمد)

كان يحاول أن يستميلنا إليه، وقد علمت أن والده كان شيخ هذه القبيلة، وكان قد توفي وتركه صغيرًا، ولذلك تولى عمّه السردار عثمان شأنه وشأن القبيلة، وحين كبر (محمد) لم تؤل إليه رئاسة القبيلة كما هو في التقاليد القبلية، علمًا أن الحكومة لا تحكم إلا صوريًّا، وإنما الحكم المحلي هو لشيخ القبيلة.

لم يغتصب السردار عثمان رئاسة القبيلة، فيما فهمت، بل كان ذلك برغبة من القبيلة لما لمسته فيه من سلطة معنوية وهيبة واحترام. ولذلك السبب حدث بين العم (السردار عثمان) وابن أخيه (محمد) نزاع وصل حدَّ حمل السلاح أحيانًا ضد بعضهم بعضًا.

لما عدنا إلى الكويت اتصل بي (محمد) وأعلمني برغبته في زيارتي، فأعددنا له تأشيرة دخول،

وزارني وأقام عندنا ضيفًا كريمًا. بعد ذلك اتصل بي السرداد (عثمان) وعبَّر لي عن رغبته في أداء فريضة الحج مع رفقة جمع من عائلته وأصحابه وبعض وجهاء الدولة، فأمَّنَّا لهم رحلة الحج انطلاقًا من الكويت في اتجاه مكة المكرمة.

في السنة التالية، دعانا فخامة الرئيس ضياء الحق نفسه، وعدنا إلى (مدينة كويتا) مجددًا، فاستقبلنا السردار عثمان، وكنت استشرت جماعتي أن أصلح بين ابن الأخ وعمِّه، فرحبوا بالفكرة. ولما جاء السردار عثمان يدعونا إلى الغداء، اشترطت أن يتصالح مع ابن أخيه حتى أقبل دعوته. عندها أخبرني أن هذا الخلاف قائم منذ (73) سنة، وبينهما مشاكل كثيرة وثأر وخلافات حول الأراضي وأشياء أخرى. أخبرني كذلك أن السيد (محمد علي جناح)

مؤسس دولة باكستان، والرؤساء الذين جاؤوا بعده، وكثيرون، تدخلوا لإصلاح ذات البين، ولم ينحجوا في ذلك.

وقال لي «أنت عزيز وغال» وليس بيدي حيلة، عندئذ تمسكت بعبارته هذه وحاولت إقناعه متوسلًا في ذلك القرآن الحكيم، والأحاديث النبوية، والشعر، حتى قال: طيب، لو وافقت أنا هل يوافق هو؟ فأجبته: المهم اقبل أنت، ونحن نتولى الباقي، فقال: أمري لله. وبعد ذلك جاء ابن أخيه (محمد) يدعونا إلى الغداء، فاشترطت عليه الشرط نفسه، أن لا غداء إلا بقبول الصلح مع عمه، فتلكأ في البداية وتعذَّر بالحجج نفسها. ثم انتهيت إلى إقناعه.

وكان بعد ذلك أن جمعناهما معًا في قرية اسمها «قلعة سيف الله» ووفقنا الله في المصالحة بينهما.

حين تمت المصالحة، ارتفعت زغاريد النساء، وتعالت أصوات البنادق تعبيرًا عن الفرح، وحضر الجانبان جماعات جماعات وتعانقوا.. ولم أستطيع - حينها - حبس دموعي من الفرحة، وكذلك جماعتي الذين شاركوني هذا العمل الجليل. ثم دعانا السردار عثمان وابن أخيه وجماعتهم إلى عشاء الصلح، وكانوا حوالي (200) شخص، وبعدها دعانا محمد، وذهبنا إلى بيته، وحضر الحفل حوالي (300) شخص. ومكافأة لهما على الصلح منحت السردار عثمان منحًا دراسية لعشرة طلاب من قبيلته، لدراسات الدكتوراه في الجامعات التي يختارونها، ولابن أخيه محمد قمنا بحفر ثلاثة آبار عميقة للمياه الصالحة للشرب في صحاريهم.

والحكمة من رواية هذه الحادثة أن تحقيق الصلح بين الناس هو طريق إلى تحقيق السلم الأهلي...

وعلينا أن نسعى إلى الصلح وألا نبقى مكتوفي الأيدي... علينا أن نتحلى بروح المبادرة ونقرِّب بين الناس، وألا نكون من القعدة الذين يكتفون بالجلوس على الربوة... فالسلام مسؤولية وواجب.

الوسيلة الثالثة
التوسط بين الدول لإرجاع العلاقات سبيل إلى السلام

في السنوات من عام (1993) إلى عام (2000) كانت العلاقات بين جمهوريتي: الجزائر وإيران منقطعة، وصادف أن كنت في أحد الأيام بحضرة فخامة الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة، أطال الله في عمره، وكنا نتحدث في مواضيع شتى، وفجأة قفز إلى ذهني قطع العلاقات الجزائرية الإيرانية، فسألته عن سبب انقطاع العلاقات بين البلدين، والإيرانيون جيران الأمة العربية، وخصوصًا دول الخليج العربي، ونحن في الخليج نعدُّهم عمقًا استراتيجيًّا لنا، وكذلك نحن بالنسبة لهم، فقال الرئيس: لقد قُطعت

العلاقات حينما كان (ابن جديد) رئيسًا منذ ثماني سنوات. فرجوته أن تعود العلاقات إلى طبيعتها ليعمَّ السلام بين البلدين. وبعد نقاش طويلٍ، وافق فخامته أن أتدخل بين البلدين بالشكل المناسب. وعندما عدت إلى الكويت أخبرت صاحب السمو أمير دولة الكويت - آنذاك - الشيخ جابر الأحمد الصباح (رحمه الله)، ففرح لذلك، وقال لي: إن استطعت رأب الصدع وعادت العلاقات طبيعية بينهما فذلك شرف للكويت، فقلت له: منذ سنوات قال لي المرحوم (عدنان خير الله) وزير الدفاع العراقي آنذاك بأنه سمع الإيرانيين يهددونني شخصيًّا بسبب علاقتي ببعض المسؤولين العراقيين، وكان ينصحني بعدم الذهاب إلى إيران، وإني كنت سمعتهم مرة يهددونني بالاسم، فماذا تنصحني سمو الأمير؟ فأطرق قليلًا ثم قال: يا عبد العزيز من سار في طريق الخير لا يرى إلا الخير، فتوكل على الله

واذهب. قلت له: سأذهب، لكن إذا مضى ثلاثة أيام ولم أتصل بكم، فابحثوا عني واسألوا، فابتسم، وقال رحمه الله: اتكل على الله، وأتمنى لك التوفيق.

ثم كان أن اتصلت بالرئيس (هاشمي رفسنجاني)، وكان آنذاك رئيسًا لمجمع تشخيص مصلحة النظام، فسعد لمجيئي وسألني بلهفة عن موعد وصولي... وفي مطار طهران، وجدت خمسة أشخاص في استقبالي، وقال لي أحدهم: أنا مكلف بالترجمة بينك وبين الرئيس، وكان يتحدث العربية بطلاقة. وفي الحقيقة، لم أكن أرغب في وجود شخص ثالث معنا، وكنت أخشى أن يتسرب خبر لقائي به إلى رئيس الجمهورية (سيد خاتمي) أو إلى وزير الخارجية (السيد خرازي)، وبذلك يكون اجتماعي بأحدهما لا معنى له. كنت أعلم أن الرئيس رفسنجاني، رحمه الله، يجيد العربية، لأنه درس بالنجف في العراق،

ثم قال لي المترجم: إن الرئيس يرغب في التحدث بالفارسية، فقلت له: أخبره عن رغبتي في التحدث بالعربية وعدم الحاجة إلى مترجم. في الصباح، كان الموعد في منزله، وفوجئت بوجود المترجم، ولاحظ الرئيس امتعاضي، فقال لي: يا عبد العزيز، أنا أرغب في أن أتحدث إليك بالفارسية، أما المترجم فسينقل إليك كلامي بالعربية، ولا داعي لترجمة كلامك لي لأنني أتقن العربية. وعندما شرحت له سبب لقائي به، وأعربت عن رغبتي في عودة العلاقات بين إيران والجزائر حتى يعم السلام وتنمو المحبة بين الشعبين العربي والإيراني، أجابني بأن الرئيس السابق، ابن جديد، ظن أننا نمول الناشط السياسي الجزائري (علي بلحاج)، وهذا الأخير كان قد شتم أقدس شخصية إيرانية، وهي (الإمام الخميني)، فكيف ندعم مثل هذا الشخص. قلت له: إذن حدث سوء فهم،

وقد آن الأوان بعد أن وضح الأمر على نحو ما ذكرتم أن تعاد العلاقات. وبعد نقاش دام أكثر من نصف ساعة، اقتنع برأيي، وقال: ليسمُّوا سفيرًا لهم في إيران، ونحن سفيرنا جاهز.

أذكر أني عدت بعدها إلى الكويت، وأخبرت المرحوم الشيخ جابر الأحمد الصباح بذلك، ففرح فرحًا كبيرًا. ثم سافرت في اليوم الثاني إلى الجزائر، والتقيت فخامة الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة، وأخبرته بتفاصيل اللقاء، فشكرني كثيرًا. وكان أن عيّنت الجزائر السيد عبد القادر الحجَّار سفيرًا لها في طهران بعد انقطاع دام ثماني سنوات.

وإني أتذكر أن فخامة الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة أدى زيارة رسمية إلى جمهورية إيران في أكتوبر 2003، وأجابه فخامة الرئيس الإيراني

السابق محمد خاتمي بزيارة مماثلة إلى الجزائر في أكتوبر 2004، وكان بذلك أول رئيس إيراني يزور الجزائر منذ ثورة 1979. ونتج عن ذلك فيما بعد أن أعلنت إيران دعمها سياسة الرئيس بوتفليقة الساعية إلى المصالحة الوطنية.

الحكمة مما ذكرت لكم في قصة التوسط، أنه كلما وجدنا فرصة للتوسط والمساعدة في رأب صدع بين شعوب ودول وجماعات وطوائف، علينا ألا نتردد في ذلك، ولنقم به بكل صدق، وحتى إن لم نجد الفرصة فلابد أن نصنعها.

إن مطر السلام سيكون خراجها لكل الإنسانية حيثما كانت.

الوسيلة الرابعة
إعداد مخطط عملي
سبيل إلى السلام

مثلما أشرت سابقًا، إني مؤمن أن السلام ليس سلوكًا، بل هو ثقافة نكتسبها منذ الصغر عن طريق مناهج التربية والتعليم، ونتشبَّع بها، ثم نستوعبها لتتجسد في سلوكنا وحياتنا اليومية. ومن الواضح اليوم أن المحاولات قد تزايدت من الجهات الفاعلة دوليًّا للنظر في السلام، والبحث في القضايا العالقة والمرتبطة بهذا السياق. وفي الحقيقة رغم كل هذا الجهد لابد من إعادة طرح الأسئلة، أو بالأحرى إعادة ترتيبها. في أغلب مخططات العمل الرامية إلى

إحلال السلام كان السؤال الأول هو: ما الذي يسبب الحروب؟ أو كيف يمكن أن نقضي عليها؟

هذا السؤال يأتي دائمًا بعد وقوع كارثة الحرب، أي؛ هو سؤال لاحق وكأنما هو ردٌّ فعل على حدث وقع، وأحدث للبشرية دمارًا. إنه ليس دليل تفكير في أدوات الحماية الاجتماعية لتجنب الحرب، والمطلوب أن نمنع إعلان الحرب في المجتمعات. وعليه فإن الأسلم طرح السؤال: كيف نبني مجتمعات سلمٍ ونحافظ عليها؟ وللإجابة على مثل هذه الأسئلة يجبٍ أن نبحث عما يربط الثقافة بالسلام والأمن والتنمية.

والأمر المحمود هو أن هذا الاتجاه أصبح جليًّا في جدول أعمال خطة التنمية المستدامة للعام 2030 و«السلام المستدام»، من خلال قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن في أبريل 2016. وعلينا أن نباشر العمل وفق هذا التوجه. وأساسًا من خلال فكرة تنمية «ثقافة السلام» التي يمكن تحقيقها.

ونحن لا نبتدع جديدًا وإنما نذكر بما كان قد بدأ العمل به، أعني تطوير مفهوم «ثقافة السلام» كما جاء ضمن برنامج اليونسكو عام 1992.

ثقافة السلام تتضمن دحض العنف ورفضه والحيلولة دونه، وتعني التزامًا عامًّا من قبل الجميع بتعزيز بناء السلام والتوسط ووقف الصراعات وإقامة التسويات، وتشمل أيضًا: الترويج لثقافة السلام ضمن المناهج التربوية، والترويج للتسامح وقبول الآخر والاحترام المتبادل والحوار بين الثقافات والأديان والتصالح.

في نهاية القرن الماضي بدأت الأمم المتحدة العمل على ترويج وتعزيز ثقافة السلام من خلال ثمانية مجالات تحددت ضمن خطة للعمل اعتمدتها الجمعية العامة في عام 1999 (القرارات رقم A/53/243B). وهذه المجالات هي: التعليم، التنمية المستدامة، حقوق الإنسان، المساواة بين الجنسين، المشاركة

الديمقراطية، التفاهم والتسامح والتضامن، التدفق الحر للمعلومات وحرية المعرفة، وتعزيز السلام والأمن الدوليين.

وفي شهر سبتمبر من كل عام، تعقد الجمعية العامة للأمم المتحدة منتدى رفيع المستوى حول ثقافة السلام. ويقدم هذا المنتدى متابعة لخطة عمل وقرارات العام 1999. ونحن في مؤسستنا، رأينا أن نعمل ضمن هذا السياق، ولأننا نؤمن أن اليد الواحدة لا تصفق، اخترنا التعامل مع مؤسسة متخصصة في الموضوع، هي: (المعهد الدولي للسلام)، بإقامة شراكة معه لتقديم مساهمة جدية في تطوير ثقافة السلام، من خلال الأبحاث والفعاليات والاتصال الاستراتيجي في سنة 2017، وجعلنا ذلك مخططًا على مدى أربع سنوات لاحقة.

إن تطوير ثقافة السلام من أجل السلام، يتطلب المشاركة على المستويات المحلي والإقليمي والدولي.

أي، تحقيق تعاون متعدد الأطراف والمستويات مع الدول الأعضاء والمنظمات الدولية على حد سواء. وهدفنا من هذا المشروع هو التعاون مع كل الأطراف الفاعلة، وقيادة الجهود الرامية إلى إلقاء المزيد من الضوء على ثقافة السلام والسعي إلى تحقيقها.

وإن عملنا ليس رديفًا للأمم المتحدة، بل هو ضمن الإطار نفسه، ولقد كان من محاسن الصدف أن وضع رئيس الجمعية العامة والأمين العام للأمم المتحدة، منع الصراعات والتنمية المستدامة والسلام المستدام، على قائمة أولويات هذا العام، ولأن ثقافة السلام تلعب دورًا هامًّا لتحقيق هذه الأولويات، فإن هدفنا هو تعزيز الرؤى وتحسينها وصياغة المفاهيم وتنفيذ الأنشطة الهادفة.

إن مخططًا هادفًا لدعم ثقافة السلام يجب أن يتضمن العناصر التالية: تحديد مفهوم ثقافة السلام وتحديد الروابط بين الأطر الحديثة متعددة الأطراف

في جدول أعمال خطة التنمية المستدامة للعام 2030، وقرارات السلام المستدام. وتطوير الخيارات والأولويات. وتقديم دراسات عن آليات تنفيذ ثقافة السلام وتحقيقها، كما يبحث كيف تخدم الأهداف الإنمائية لخطة التنمية المستدامة، قضية منع الصراعات والحفاظ على السلام.

إن الحكمة من ذكر هذا المشروع الشاهد على عملنا، يتجاوز ما قالت العرب: «بالمثال يتضح الحال»، إلى التأكيد أن السلام مشروع عمل جماعي بين كل دول العالم والمنظمات الدولية والمؤسسات المدنية.

الوسيلة الخامسة
العمل التفاعلي المشترك
سبيل إلى السلام

يجب أنْ نشيد السلام ونبنيه في سياق من «التفاعل» القائم على «مد الجسور بين القلوب والعقول المنفتحة والراغبة في العمل المشترك»، وأنْ نقوم جميعًا، بتأسيس مجالات وآفاق جديدة من التفاهم المتبادل، وحتى إن تنافسنا، فيجب أن يكون ذلك تنافسًا تعاونيًّا وليس إقصائيًّا.

ولكي نصل إلى تحقيق الهدف الأسمى ألا وهو (السلام الدائم «المستدام» بين الشعوب) ويتناسق ذلك مع فلسفة منظمة الأمم المتحدة والمؤسسات

المتعاونة مَعَنا، مثل: المعهد الدولي للسلام وغيره، علينا أن ننظر إلى هذا التفاعل والعمل المشترك لا كمرحلة مؤقتة نمر بها، بل باعتباره ضرورة حياتية سامية. هذه «التفاعلية» لا يمكن أن تقوم بها منظمة واحدة فقط، فهذا غير كاف، فالأمر يتطلب تعاون مختلف المنظمات الدولية والمؤسسات النشيطة داخل مجتمعاتها، على أن يدعم بعضها بعضًا.

لا أحد يمتلك الحقيقة كاملة، والجهات الفاعلة المختلفة، في بيئة فكرية عقلانية، يمكنها أن ترسم صورة مشتركة أو رؤية أو نهجًا دوليًّا يمكن أن نتبنَّاه جميعًا. إنها في الواقع خارطة الطريق الجماعية. وعلينا أن نستفيد من جميع الإمكانيات التي نملكها لتحويل هذا الهدف من حيز الكلام إلى حيز الفعل. تلك مهمة جماعية تشارك فيها المؤسسات المدنية للمجتمعات والحكومات والمؤسسات الديمقراطية

والدوائر الثقافية، والدوائر الفنية بكل أنواعها، والمؤسسات العلمية، والمؤسسات الثقافية ومنظمات حقوق الإنسان ومؤسسات الترجمة، ويشارك فيها، أيضًا، رأس المال باعتبار أن الشركات لها مسؤولية اجتماعية، هكذا فقط يمكن أن نخلق تفاعلًا جادًّا.

يمكن تحقيق تفاعل إيجابي إذا انطلقنا جميعًا من مجموعة من المبادئ، وهي:

- **مبدأ عدم التمييز بين الناس على أساس العرق أو الدين أو اللون أو اللغة، واحترام حق جميع المجتمعات في اختيار طرق تنظيم حياتها وتنمية مهاراتها من دون التدخل في شؤونها الداخلية.**

- **حماية التنوع الثقافي: بقبول حق الاختلاف وضرورة الاختلاف، فعلينا أن ننظر إلى الثقافة باعتبارها العامل الموحد لإبداع الإنسان. ومراعاة واحترام الخصوصيات التي تثري حياتنا، من أجل بناء منبر للجميع، عندما نستطيع أنا وأنت «تأكيد هوياتنا»، و«ديننا» و«لغتنا». مع قبول الاختلافات الإيجابية ألم نقل في نهاية القرن إن العالم «قرية واحدة، أي وطن واحد، أي أسرة واحدة».**

- **المساواة بين المشاركين والاحترام المتبادل بين هؤلاء الشركاء المتكافئين.**
- **الإيمان بأن التفاعلية هي من أجل المصلحة المشتركة لكل الشعوب والدول.**

التفاعل من أجل قضية ما، يجب ألا يقتصر على مجموعة من التوصيات التي يفرضها طرف، وإنما هو ثقافة في حد ذاتها، وهي ثقافة عالمية أو لغة عالمية يجب أن تنتشر بين جميع الجهات الفاعلة في المجتمعات.

الوسيلة السادسة
جعل السلام جامعًا مشتركًا
بيننا سبيل إلى السلام

أذكر أن أحد الفلاسفة قال: إن العقل هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس، أو القاسم المشترك بين البشرية، وأرى أن العقل يؤكد لنا أن السلام هو الذي يجب أن يكون أعدل الأشياء قسمة بيننا وبعبارة أفضل هو: «الجامع المشترك بيننا». بعبارة أخرى حين يفكر الإنسان بعقله، فهو يثبت وجوده، ولكن وجوده لا يمكن أن يقام إلا بشرط؛ ألا وهو: السلام، فشرط الوجود هو السلام. إذن العقل هو الشرط والمشروط، إنه وجد ليفكر في السلام، والسلام نفسه هو الوسيلة الضامنة لاستمرارية العقل في التفكير. إذا

غاب السلام انقطع العقل عن الوجود... إذن مهمة العقل، وهو أعدل الأشياء قسمة بيننا، بالأساس هي: التفكير في جعل السلام جامعًا مشتركًا بيننا.

إن الخير العميم يكون في دوام السلام واستدامته وسيظل الإنسان باحثًا لاهثًا وراء يقين هو السلام إنه الفكرة الواضحة المتميزة... السلام لا يحتاج إلى برهان ودليل، لأنه دليل ذاته.

الوسيلة السابعة
مذهب السلام
سبيل إلى السلام

إن السلام من حيث هو مطلب إنساني جماعي، يجب أن تحمل لواءه حركة مدنية عابرة للقارات، أي؛ أنّ تتشكل مجموعات من المجتمع المدني ضمن كل دول العالم، وهي مجموعات نصح ودعم لكل الحكومات والمنظمات الدولية، كي تفعّل السلام وتتجه إلى السلام، وليس إلى الحرب. هذه المجموعات تشكل مجتمعة «مذهب السلام»... في التاريخ ظهرت كل الأيديولوجيات من الشيوعية والفاشية والليبرالية، وأثرت في العالم بشكل من الأشكال،

ونحن اليوم نحتاج شيئًا من هذا القبيل، أيديولوجيا إيجابية، أو اتجاهًا عالميًّا كونيًّا إيجابيًّا سمَّيته بلغتي البسيطة (مذهب أهل السلام) فلا توجد دعوة في العالم تستحق عناء التفكير، وجهدًا استثنائيًّا سوى الدعوة إلى السلام... لقد كان العالم يتغير نحو الأسوأ بالدعوات الشقية، ولكنه تغير كذلك نحو الأفضل بالدعوات نحو الأفضل... لقد كان ذلك في تاريخ الرسل والأنبياء والشخصيات الاعتبارية، مثل: بوذا، وغاندي، ونهرو، ومانديلا... هذا هو مذهب أهل السلام...

ما هي مهمة «مذهب السلام» اليوم؟

أولى المهام هي أن يتساءل الداعون إلى «مذهب السلام» عن الاختلافات والتناقضات في المجتمعات، وأن يحاولوا فهمها، وذلك لفهم طبائع الشعوب...

إن مهمتهم هي دراسة مشاكل الحاضر من أجل المستقبل... لماذا نحتاج إلى مذهب السلام؟ وكيف نعمل من أجل السلام؟ ولمن نصنع السلام؟ إني مقتنع بأن صنع السلام هو وسيلة لاستمرارية التاريخ، أي؛ لاستمرارية الإنسانية. يتقدم التاريخ بتطور معارفنا وبأفكارنا النيرة ضد الأفكار الهدامة.

ثاني هذه المهام، هي: معاودة النظر في القوالب الجاهزة أو المفاهيم التي يعدّها الكثيرون أساسية في الحياة، مثل: مفهوم المكان: هل المكان ملك لي أم مشترك؟ بمعنى يمكن أن يسع غيري معي. ومفهوم الحدود: هل البشرية تحتاج حدودًا بينها، أم إن كل أرض هي لنا جميعًا؟ ومفهوم الهجرة: هل هناك هجرة وعودة، أم كلنا مهاجرون؟.

ألخص ذلك في جملة بسيطة، في حدود فهمي المتواضع: أنا لا زمن لي، ولا أرض، ولا حدود، ولا وطن... بل كل الأزمان أزماني، وكل الأرض أرضي، وكل الحدود حدودي، وكل الأوطان وطني.. أنا عابر كل التواريخ والأوطان والأرض والحدود...

إني أعرِّفُ نفسي لكم: أنا حمامة سلام تطير في كل العالم.. لا وطن لها إلا أنتم.

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت - يونيو 2017

الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين

- شاعر كويتي قرأ منذ صباه بشغف لفحول الشعراء العرب وتأثر بهم.
- عمل في دائرة المعارف عام 1955، وتركها عام 1962 ليتفرغ للعمل الحر الذي توسع فيه حتى صار من أبرز رجال الأعمال في الكويت.
- نشرت قصائده في العديد من الصحف والمجلات بالكويت والدول العربية والأجنبية.
- صدر له: الديوان الأول بعنوان «بوح البوادي» 1995، والديوان الثاني بعنوان «مسافر في القفار» 2004، والديوان الثالث بعنوان «أغنيات الفيافي» 2017.

وقد ترجم الديوانان الأول والثاني إلى الفرنسية والإنجليزية، وترجمت عديد القصائد إلى الإيطالية والإسبانية والبولندية.

- رئيس مجلس أمناء مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية في الكويت.
- رئيس مؤسسة البابطين الثقافية في روما والاتحاد الأوروبي.
- اختارته الأكاديمية العالمية للشعر بفيرونا رئيسًا شرفيًّا لها في 2011/6/11 خلفًا للشاعر العالمي ليبولد سيدار سينجور، رئيس السنغال.
- أسس بعثة سعود البابطين الكويتية للدراسات منذ عام 1974 وتخرج منها آلاف الطلبة من جنسيات عديدة.
- أسس مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عام 1989 في القاهرة التي

أصبحت تعرف باسم «مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية» بعد أن اتسع مجال عملها منذ عام 2004 ليشمل حوار الحضارات، ومركز البابطين للترجمة 2004 في بيروت، ومركز البابطين لحوار الحضارات 2005 في قرطبة بإسبانيا، ومركز البابطين لتحقيق المخطوطات 2007 في الإسكندرية.

- أسس مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي بالكويت عام 2001، وهي أكبر مكتبة مختصة في الشعر العربي في العالم، بما تضمه من مئات الآلاف من الكتب والدوريات والمخطوطات والرسائل الجامعية.
- أسس معهد البابطين للحوار بين الثقافات في روما عام 2012.
- أسس أكاديمية البابطين للشعر العربي في الكويت سنة 2016.

- منحته جامعة أكسفورد كرسي اللغة العربية وسمي: (كرسي عبدالعزيز سعود البابطين لوديان للغة العربية) عام 2016.

- أسس عددًا من كراسي الثقافة العربية في عدد من جامعات أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية، وآسيا، وأفريقيا: قرطبة، غرناطة، ملقة، إشبيلية، نيس، بالرمو، روما، فيرونا، بكين، مقديشو، أنجامينا، كارا بالتوغو، جيبوتي، موروني بجزر القمر، سنار بالسودان، شنقيط بموريتانيا.

- تم منحه أربع عشرة دكتوراه فخرية من العديد من الجامعات العربية والأجنبية: جامعة طشقند في أوزبكستان عام 1995، جامعة باكو في أذربيجان عام 2000، جامعة اليرموك الأردنية عام 2001، جامعة جوي في قرغيزستان عام 2002، الجامعة القرغيزية الكويتية عام 2002، جامعة

الجزائر 2005، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس، المغرب، عام 2006، جامعة الخرطوم عام 2007، وجامعة الفارابي في جمهورية كازاخستان 2009 ، جامعة قرطبة، إسبانيا، عام 2013، جامعة طهران عام 2014، جامعة الكويت عام 2015، أكاديمية الفنون الجميلة، القاهرة، مصر، عام 2015، جامعة ستيرلنغ، سكوتلندا، عام 2017.

■ حصل على العديد من الأوسمة الرفيعة منها:

- وسام الاستحقاق الثقافي من رئيس جمهورية تونس، 1996.
- وسام الاستقلال من الدرجة الأولى من ملك الأردن، 2001.
- وسام الأرز برتبة ضابط من رئيس الجمهورية اللبنانية، 2004.
- وسام الكويت ذو الوشاح من الدرجة الأولى من صاحب السمو أمير دولة الكويت، 2005 .
- وسام العلم والآداب والفنون الذهبي من رئيس جمهورية السودان، 2005.

- وسام برتبة فارس من رئيس إيطاليا، 2009.
- وسام الاستحقاق المدني من المرتبة العالية من ملك إسبانيا، 2009.
- وسام البرلمان المالطي من رئيس البرلمان، 2011.
- وسام الشرف من رئيس جمهورية جزر القمر، 2011.
- وسام دولة فلسطين للثقافة والعلوم والفنون من رئيس فلسطين، 2014.
- وسام الاستحقاق الرئاسي من الدرجة الممتازة في المسؤولية الاجتماعية من فخامة الرئيس عمر حسن البشير رئيس جمهورية السودان، 2015.
- الصنف الأكبر من وسام الاستحقاق الثقافي، من رئيس الجمهورية التونسية، 2016.
- «وسام الجمهورية» من فخامة رئيس جمهورية البرتغال مارسيلو ريبالو، لدوره في نشر ثقافة السلام حول العالم، وللجهود التي يبذلها لتحقيق التواصل بين الشعوب، عام 2018.